Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata - Libya, Volume 1 - Issue 5, June 2016

Published on Web 01/06/2016

المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة،ليبيا، المجلد الأول ـ العدد الخامس، يونيو 2016م

جمع القرآن الكريم

د. مجدي عبد الله الشلفوح*

تعني عبارة (جمع القرآن الكريم) إما تعلم القرآن الكريم عن ظهر قلب، كما أنزل علي النبي (ﷺ)، أو جمعه بطريقة منظمة مرتبة طبقاً لآياته وسوره، وذلك حسب تسلسلها ونزولها علي النبي (ﷺ)، لقد دون القرآن الكريم علي أكتاف الأغنام والإبل، وعلي صفحات الحجارة والرقاع وعلي العُسب، وكذلك علي الأقتاب (قطع الخشب التي توضع علي ظهر البعير). (الزرقاني، 1988، ج 1، ص 246، الصالح 1997، ص 169).

كان الرسول (ﷺ) معلم الصحابة جميعهم، وهو الذي حفظ القرآن عن ظهر قلب، وهو– أيضاً– أول من قام بجمع القرآن. عندما كان (ﷺ) يأمر كتاب الوحي كتابة كل مايوحى إليه منه. ومن بين أولئك الذين حفظوا القرآن عن ظهر قلب (الحُفُاظ)، وتهيأت لهم فرصة مراجعته تحت إشراف رسول الله (ﷺ) عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو الدرداء، والسيدة عائشة، والسيدة حفصة، وأم سلمه. (الصالح، 1997، ص 65–67).

كان حفظ القرآن عن ظهر قلب وبإشراف النبي (ﷺ) هو الطريقة المثلى لتدوين القرآن، حيث تمت مقارنة حفظه الصحابة، بما كان مدوناً، وإن جمع القرآن مرّ بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى: كانت علي عهد الرسول (ﷺ) حيث أمر خمسة من صحابته بجمع القرآن الكريم وهم:معاذ بن جبل، وعبادة ابن الصامت وأبي بن كعب، وأبو الدرداء وأبي أيوب الأنصاري. (السيوطي، 1996، ج 1، ص 140–198). وكان ذلك من النبي (ﷺ) للتأكد من أن ما تم تدوينه يوافق ما حفظ عن ظهر قلب. من الأهمية بمكان ملاحظة أن ترتيب الآيات والسور كان أيضاً بأمر النبي (ﷺ) نفسه، (الزرقاني، 1988، ج 1، ص 247) وذلك يدحض ادعاء قودارد (1995، ص 37) بأن ترتيب الآيات تم بعد وفاة النبي (ﷺ).

* قسم اللغة الإنجليزية – كلية الآداب – جامعة مصراتة.

هذه النظرة المتفق عليها بالإجماع من قبل العلماء المسلمين والتي وافقهم أيضا فيها روبنسون (1999، ص 60) هي أيضاً تفند إدعاء قودارد ،(المصدر السابق، ص 34)، وولتر (1995،ص 33)، بأن القرآن تم تدوينه فقط بعد وفاة النبي (ﷺ) وتم ترتيبه وفقاً لطول السور.

إن النسخة المدونة علي أدوات متفرقة كانت قد أودعت مع النبي (ﷺ)، في الوقت الذي احتفظ فيه الكُتّاب لأنفسهم بنسخ مماثلة أيضاً .(نفس المصدر، ص 73).

إن النسخة المتوفرة من القرآن الكريم اليوم، هي تماماً نفس النسخة التي كانت في عهد النبي (ﷺ)، فقد اعتاد سيدنا جبريل الجلوس مع النبي (ﷺ) مرة في العام خلال شهر رمضان، مستمعاً إلي النبي وهو يتلو القرآن، إلىأن ينتهى إلي إتقان وضبط ما يقرأ من سور. ولقد تنزل جبريل إلي النبي (ﷺ) مرتين في نفس العام الذي قبض فيه ليتأكد من أن القرآن الكريم كله قد دون كاملاً دون نقصان أو تحريف.

آخر نسخة من القرآن الكريم كانت من لدن النبي (ﷺ)، أملاها قبل وفاته علي زيد بن ثابت الذي دونها وقرأها جهراً علي النبي صلي الله عليه وسلم. وهي النسخة ذاتها التي سار عليها مجتمع المسلمين، وهي نفسها التي اعتمدها كل من أبي بكر الصديق و عمر بن الخطاب عندما بدآ التفكير في جمع القرآن الكريم. (السيوطي، 1996، ج 1، ص 143). وعلي الرغم من أن الآيات والسور كانت متفرقة متناثرة بين عدد من الأدوات فإن تدوين النبي (ﷺ) للقرآن كان إنجازاً عظيماً. بعبارة أخرى، صار القرآن آنذاك مدوناً فقط دون ترقيم للآيات والسور، كما يظهر في النسخة القرآنية المتوفرة في عصرنا اليوم. وبالتالي، كان لزاماً القيام بإنجازٍ ثانٍ.

المرحلة الثانية: كانت علي عهد أبي بكر الصديق، فلقد كان الصحابة الحفاظ هم المصدر الحقيقي للقرآن كما تلقوه مباشرةً من النبي (ﷺ) من حيث القراءة الصحيحة لمفردات القرآن، والأكثر أهمية من ذلك، هو الترتيب التوقيفي للآيات والسور.

فلقد كان أبوبكر الصديق في العام الثاني عشر الهجري هو الذي أمر بجمع القرآن الكريم ورتب آيه وسوره بنفس ترتيب النبي (ﷺ) للحُفَّاظ من الصحابة.

ثم قام أبوبكر من بعد ذلك بأخذ القرآن الكريم المدون علي قطع متفرقة من الورق في بيت النبي (ﷺ) مرتباً الآيات والسور حسب ترتيب نزول الوحي، ثم أصدر الأوامر للصحابة لوضعه مع بعض وسلكها بخيط .(الزركشي، 1988، ج 1، ص 300، الداني، بدون تاريخ، ص 2).

كان هنالك رأي مختلف بين مجموعة من علماء المسلمين الذين قالوا بأن ترتيب سور القرآن الكريم من قبل الصحابة بعد وفاة النبي (ﷺ) ترتيب غير توقيفي، لكنهم رتبوا السور طبقاً لما تعلموه من النبي (ﷺ) نفسه (ابن الزبير، 1990، ص 183).

إن محاولة أبي بكر الصديق جاءت بعد موقعة اليمامة التي جرت بين المسلمين وأتباع مسيلمة الكذّاب، والتي أودت بحياة مايقارب 70 صحابياً ممن كانوا يحفظون القرآن عن ظهر قلب.

كان ذلك بمثابة إنذار لعمر بن الخطاب، اقترح علي إثره علي أبي بكر الصديق ضرورة جمع القرآن قبل وفاة كل الحفظة .(الرافعي، 1990، ص 36، الصالح، 1997، ص 74، روبنسون، 1999، ص 60).

حافظ أبوبكر علي نسخة من القرآن الكريم في بيته، أخذها عمر بن الخطاب بعد وفاة أبي بكر، ثم أخذتها حفصة ابنة عمر بن الخطاب وزوجة النبي (ﷺ) بعد وفاة أبيها (العطار، 1988، ص 267، الصالح، 1997، ص 77).

وذكر أيضا (الزركشي، 1988، ج 1، ص 295)، والزرقاني، 1988، ج 1، ص 249) أن عمر بن الخطاب رأى في مقتل عدد من الصحابة الحفاظ في موقعة اليمامة مؤشراً يبعث علي القلق، فاقترح علي أبي بكر الصديق البدء في جمع القرآن من صدور حفظته قبل وفاة المزيد من الصحابة. فاقتنع أبوبكر بعد فترة، وأسند تلك المهمة إلي زيد بن ثابت الذي اعتبرها أصعب بكثير من تحريك جبل. فأخذ زيد بن ثابت في متابعة الصحابة الحفاظ وأولئك الذين اعتادوا حفظ بعض من القرآن مدوناً علي الرقاع أو أي أدوات أخرى للكتابة كانت متاحة عندئذ.

فعلي سبيل المثال، لم يستطع زيد بن ثابت إيجاد أي من الصحابة ممن دون الجزء الأخير من سورة التوبة إلا أبا خزيمة، ويرجع ذلك إلي حقيقة أن الصحابة الحفاظ لم يعتادوا تدوين القرآن الكريم، بل كانوا قد حفظوه فقط عن ظهر قلب، وأتقنوا قرآته المتنوعة تحت إشراف النبي (ﷺ) نفسه.

كما أن أبا بكر الصديق أمر زيد بن ثابت بالجلوس عند عتبة المسجد وكتابة الآيات عن كل من استطاع الإتيان بشاهدين لإثبات أنه كان من الحفاظ، وأن يتلو الآيات عن ظهر قلب، وعليه أن يؤكد كذلك قدرته علي كتابتها. وبهذا النهج فقط قبل كل من عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت الآيات من الصحابة.

كما طلب عمر بن الخطاب في المسجد من كلٍ ممن حفظ القرآن مباشرةً من النبي (ﷺ) الحضور، وأن يجلب معه أي شيء مكتوب من القرآن، شريطة أن يصطحب شاهدين يثبتان أن ما كتب كان بإشراف النبي (ﷺ) (السيوطي، 1996، ج 1، ص 166).

لقد استمرت مهمة تجميع القرآن الكريم بهذه الطريقة قرابة السنة (الصالح، 1997، ص 77).

إن من بين الذين أعربوا عن إعجابهم بهذا الإنجاز القيِّم الذي قام به أبي بكر الصديق، علي بن أبي طالب. (الزركشي، 1988، ج 1، ص 302).

كان الهدف الرئيس لأبي بكر الصديق من جمع القرآن الكريم هو حفظه من الضياع أو التحريف، إلي جانب ترتيب آياته وسوره طبقاً لذات التسلسل الذي انتهجه النبي (ﷺ). وبحسب الداني (بدون تاريخ، ص 119) فإن أبابكر الصديق قام بجمع القرآن الكريم طبقاً للقراءات السبع.

المرحلة الثالثة: في جمع القرآن كانت علي زمن عثمان بن عفان. فالاختلاف في قراءة القرآن الكريم عبر الأمصار، وعدم توافق المسلمين علي الطريقة التي يجب أن يقرأ بها القرآن، كانت قد بلغت منعطفاً مهما، وفي واقع الأمر فإن ذلك يعود إلي أن اللغة العربية كانت في عهد عثمان بن عفان مكتوبة بالأحرف الساكنة،وبعبارة أخرى، بدون أي حروف متحركة، إن علامات الضبط و الإعراب التي تتخذ شكل العلامات الصغيرة سواء كانت فوق الحرف الساكن أو أسفله، لم تضف إلا فيما بعد علي عهد الخليفة عبد الملك (705 – 785 ميلادي/65 – 86 هجري) (قودا رد، 1995، ص 37).

إن خبر التنوع في قراءة القرآن وصل لعثمان بن عفان عن طريق حذيفة بن اليمان، وفي الحال اتخذ عثمان إجراءً طلب فيه من السيدة حفصة زوجة الرسول (ﷺ) أن ترسل إليه كل الصحائف التي كتب عليها النبي (ﷺ) القرآن الكريم، التي كان والدها عمر بن الخطاب أودعها لديها، (العطار، 1988،

ص 268، الزركشي، 1988، ج 12، ص 301، الداني، بدون تاريخ، ص 4، روبنسون، 1994، ص 61).

في السنة الخامسة والعشرين للهجرة (الرافعي، 1990، ص 39) أمر عثمان بن عفان زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بوضع نسخ من القرآن الكريم وإرسال نسخة إلى كلٍ من مكة واليمن والبصرة والكوفة والشام والبحرين، بينما احتفظ عثمان بن عفان بنسخة لنفسه عرفت بـ(المصحف الإمام). (الزركشي، 1988، ج 1، ص 303، السيوطي، 1996، ج 1، ص 168–171) وأمرهم كذلك بإتباع لغة قريش في كتابتهم للقرآن حيث كانت هي اللغة التي نزل بها القرآن. (الزركشي، 1988، ج 1، ص 298، الرافعي، 1990، ص 38–62). ونقل الداني (بدون تاريخ، ص 4) الحادثة التي جعلت عثمان بن عفان يتخذ قراراً بتبني لغة قريش. حيث أراد زيد بن ثابت كتابة كلمة من سورة (البقرة) الآية 246 ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ....﴾، وكذلك من سورة (طه) الآية 38 ﴿ .... أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ ....﴾ فكتبها (التابوه) في حين أن ثلاثة من الصحابة القرشيين عارضوه وأرادوها أن تكتب (التابوت)، فأرجعوا الأمر إلى عثمان بن عفان الذي أمرهم بالأخذ بلغة قريش، وبعد الانتهاء من النسخ المطلوبة أرجع عثمان الصحائف إلى حفصة.

كما قام عثمان بإرسال كل واحد من أولئك الصحابة إلى تلك البلدان المحددة، وبذلك تأكد من أن قراءة القرآن كانت محكمة. ثم اتخذ عثمان خطوة حكيمة أخرى وغير مسبوقة، وذلك بإعطائه الأوامر بحرق كل النسخ الأخرى المتوفرة لدى المسلمين، علي أن يتبع النسخة المرسلة إليهم فقط. (نفس المصدر، ص 293).

ومن بين الصحابة الذين أيدوا قرار عثمان بن عفان بحرق كل النسخ الأخربعلي بن أبي طالب (الزركشي، 1988، ج 1، ص 302).

لم تكن نسخ عثمان من القرآن الكريم منقطة، ولم يكن للآيات نهايات ولا للسور أسماء، ولا نهاية لعلامة الآية، فكانت تشبه تماماً النسخة التي جمعها أبوبكر الصديق.

إن الميزة الأكثر أهمية، لنسخ عثمان من القرآن الكريم؛ أنها لم تشمل أي جانب من جوانب التفسير،والتي اعتاد بعض الصحابة أن يشملوها في نسخهم، إن مثل هذه الهوامش كانت تسبب الكثير من الارتباك بين مفردات القرآن، والمفردات المفسرة لها. (نفس المصدر، ص 85).

وعليه فإن هدف عثمان بن عفان الرئيسي من جمع القرآن، كان تأسيس قراءة قرآنية واحدة،معتمدة على لغة قريش، وذلك بسبب انتشار لغات ولهجات مختلفة للبلدان التي دخلت الإسلام حديثاً، والتي أدت إلى اختلافات حادة بين المسلمين على لفظ القرآن، أي الطريقة التي يجب قراءة القرآن بها. إن أولوية عثمان حسب ما ذكره الداني (ص 120) كانت الحفاظ على الأمة الإسلامية من الاختلاف في قراءة القرآن. ولذلك أمر بوجوب جمع القرآن طبقاً لقراءة واحدة فقط، هي لغة قريش وإلغاء القراءات الأخرى؛ لأن المسلمين لم يؤمروا بتعلم القراءات السبع، ولم يكن تعلمهم بالأمر الواجب.بل كان للمسلمين حرية اختيار أي قراءة يرغبون تعلمها.

References

1. Abdul-Raof , H. (2003). Exploring the Qur'an. Dundee: Al-Maktoum Institute Academic Press.

2. Goddard,H. (1995). Christians and Muslims from Double Standards to Mutual Understanding. Surrey: Curzon Press.

3. Robison, N. (1999). Islam: A Concise Introduction. Surrey:Curzon.

4.Atar, HasanDhiya al- Din (1988). al- Ahruf al-Sab'ahwaManzilat al-Qira'atMinha. Beirut: Dar al-Basha'ir al-Islamiyyah.

5. al-Dani, abuAmrUthman b. Sa'id (n.d). al-Muqni. Tripoli: Maktabat al-Najah.

6. al-Rafi'i, Mustafa Sadiq (1990). I'jaz al-Qur'an wa al-Balaghah al-Nabawiyyah. Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi

7.al-Salih, Subhi (1997). Mabahith fi Ulum al-Qur'an. Beirut: Dar al-Ilm-Lil-Malayin

8.al-Suyuti, Jalal al-Din(1988). Mu'tarak al-Aqran fi I'jaz al-Qur'an. Vol. 1-3. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

9. al-Zarkashi, Badr al-Din (1988). Al-Burhan fi Ulum al-Qur'an. Vol.1-4. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

10. al-Zarqani, Muhammad Abd al-Athim (1988). Manahil al-Irfan fi Ulum al-Qur'an. Vol.1-2. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

11. Walther, W. (1995). Women in Islam. Princeton: Markus Wiener Publisher.